الأهرام

المصدر: الخليج

التاريخ : ٦ مارس ٢٠٠٥

لا حاجة لشق صدور اللبنانيين لمعرفة عروبتهم

د. أمينة أبو شهاب

الحركة الديمقراطية في لبنان هي استعادة لتاريخ وممارسة ديمقراطيين عرف بهما هذا البلد من بين بلاد العرب جميعاً

قتل سياسي لبناني مقدر شعبياً ولم يختلف أحد في لبنان على عروبيته وهو رفيق الحريري هو ما يعبئ ولا يزال يغذي الحركة الشعبية الواسعة التي تسمى الآن بربيع لبنان الديمقراطي، نسبة إلى ربيع براغ. والحق أن الغضب الشديد على اغتيال الحريري والاحتجاج على هذا وحمل الأسئلة حول الاغتيال هي طابع هذه الحركة الشعبية الأول وسبب تجمهرها الأكبر عددياً.

ليس العراق ولا «الديمقراطية» المصبوغة بالدم التي أحدثها الأمريكيون فيه هي «الملهم» للبنانيين في مطالباتهم باستعادة الديمقراطية وبخروج القوات السورية. ومع ذلك تختطف الإدارة الأمريكية الحركة من أهلها وتكرر القول للعالم بأن العراق المحرَّر والديمقراطي هو المحرك للبنان في ثورته وأن الحملة الكولونيالية تتوالى ثمارها في فلسطين والعراق ولبنان آخراً وليس أخيراً. ولم يخرج الإعلام الغربي في عامته أيضاً عن هذا النسق التفسيري وكون أن الإدارة الأمريكية تسجل أهم نجاحاتها في المنطقة العربية وصارت تفتح القلاع والحصون من دون إراقة دماء. أما الكثيرون من المثقفين العرب والكتّاب في السياسة والذين انضموا باكراً إلى الحملة الكولونيالية الأمريكية، فهم الأجدى بالطبع بالاستغلال البشع للثورة الشعبية اللبنانية بتفسيرها التفسير الخطأ.

الأمر بالطبع هو أبعد ما يكون عن انبهار بالديمقراطيات المستجدة واستلهام لها، الحركة الديمقراطية في لبنان هي استعادة لتاريخ وممارسة ديمقراطيين عرف بهما هذا البلد من بين بلاد العرب جميعاً. وحتى بعد الحرب الأهلية والوجود السوري فإن لبنان بقي أكثر ديمقراطية من غيره بوجود برلمان ذي صوت حر وبوجود صحافة هي الأكثر حرية عربياً وبأوضاع متطورة لمنظمات المجتمع المدني والنقابات ولدور المرأة. وأمريكا نفسها لم تدن لبنان حين كانت تفعل كبلد ناقص الديمقراطية وإنما كبلد فيه حزب الله وفيه الوجود السوري.

الحركة الشعبية في لبنان ليست لأمريكا وليست لنجاح أمريكا وصواب سياستها الدموية في العراق، بوش فقط يقف جانباً من الحركة ويؤشر لنفسه ويعزف على إيقاعها بأن يصدر أوامره الشديدة لسوريا كي تنسحب. وهذا الأمر الأخير، أي الانسحاب السوري، كمطلب جماهيري في لبنان، من يلوم اللبنانيين عليه؟ لقد فاض الكيل باللبنانيين بكل طوائفهم لاستشراء الفساد وسوء الإدارة وممارسات المخابرات السورية والتجاوز على الدستور اللبناني بتغييره كي يتسنى التمديد للحود. أخطاء السوريين وحلفائهم اللبنانيين في الحكم كانت بحد ذاتها سبباً لانفجار الشعب اللبناني.

ولكن هل هذا انفجار غير عروبي؟ هل يعبر عنه وليد جنبلاط الذي غير فجأة جلده من موال سوري إلى طالب تدخل أمريكي وغربي، هل يعبر عنه عندما غفر في تصريح أخير له عن العدوان الأمريكي على العراق «ما دام أنه أدى في النهاية إلى ذهاب ثمانية ملايين عراقي للانتخاب»؟ هل هذا الانفجار غير عروبي ما دام بعض من يعبر عنه هم آل الجميل وآل عون وغيرهم ممن عرفوا بنزعتهم الانعزالية؟

هل هذا الانفجار يصب لمصلحة «التحرير» الأمريكي للمنطقة؟

الأكيد أننا لا نحتاج إلى شق قلوب الشعب اللبناني لكي نعرف عروبيته وما إذا كانت باقية وهو الذي عرف بمقاومته وتضحياته وتحريره لنفسه من «إسرائيل».

قد لا نثق في الأسماء المتصدرة ولكننا نثق بالشعوب وأنها تبحث عن الحرية والانعتاق لا عن إعادة الأجانب والمستعمرين.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية